علاقة المرأة بالمال: مسألة تربوية أم جينية؟

فدوى مردم بك منصور(*)

عندما طُلب مني أن أكتب في قسم الخواطر حول المرأة والمال، خطر على بالي حديث جرى، منذ زمن بعيد، في أثناء وجودي بين شلّة من الصديقات. حين انبرت إحداهن، بدلع البنات المدلَّلات، لتقول إن والدها الثري قد حذّر زوجها حين كان لا زال خطيبها ونصحه بعدم توفير بطاقة ائتمان أو دفتر شيكات لزوجته (أي لها) في المستقبل، والاكتفاء بتوفير المال النقدي لها. فهي غير مكترثة ولا تعرف قواعد الحساب حين يتعلق الأمر بصرف المال.....

وفي أحد الإفطارات الرمضانية العديدة التي تقام في رمضان، لا سيما من قبل الجمعيات الخيرية، حاولت إحدى الصديقات أن تضفي على معرفتها بي بعض الأهمية. فعرّفتني إلى إحدى صديقاتها بأنني أعمل مديرة في مجال التدريب المصرفي. فما كان من السيدة الكريمة إلاّ أن علقت على الأمر بأنها لا تفقه شيئاً في قواعد الحساب والمال وأن ١ + ١ تساوي ١١ بالنسبة إليها. ولم أستطع أن أعرف إن كان ذلك إطراءً لي أوعدم اكتراث بعملي واهتماماتي. فما كان مني إلاّ أن أثنيت

(*) مديرة التدريب في جمعية مصارف لبنان.

على سعة خيالها وعلى ضرورة وجود أشخاص يرون الاشياء بأشكال مختلفة.

وفي مقابلة مع إحدى الصديقات في دمشق في الآونة الأخيرة، تذكرت موضوع كتابة هذه الخاطرة، وعندها قررت الكتابة. فلقد أسرَّت إليَّ هذه الصديقة بأنها ربحت مالاً كثيراً في التوظيف الذي قامت به في الأسهم التفضيلية في مصرفين لبنانيّين بينما خسرت كل ما وظّفته في مصرف «ليهمان بروزرز» الأمريكي في الأزمة المالية الأخيرة التي عصفت بالمؤسسات المصرفية في أمريكا. ولا أعرف كيف خطر في بال صديقتي الدمشقية أن تشتري أسهماً في هذا المصرف الأخير!

هذا هو سرّ الطبيعة. لكل من هؤلاء النسوة توجّه مختلف عن الأخرى. فأنا لا أعتقد أن ثلاثة رجال يتمّ اختيارهم من مجتمعات وبيئات واهتمامات مختلفة تكون نظرتهم إلى المال والاستثمار متشابهة. ولكن، من المؤكَّد أن التربية وتوجيه الأشخاص منذ الصغر والبيئة المحيطة بالإنسان لها جميعها تأثير على اهتمامات الأشخاص، رجالاً ونساء.

فصديقتي غير المكترثة بالحساب تمّت تربيتها على أساس اللامبالاة بالمصروف ولا حتى بجني المال، باعتبار أنها سوف تجد من يعتني بها ويوفّر لها كلّ ما تطلبه وتحتاج إليه على الصعيد المالي. ولمَ التعب وشغل البال؟

أما صديقة صديقتي ذات الميول الفنية (حسب اعتقادي)، فلا حاجة بها إلى القيام بالعمليات الحسابية ولم يتمّ توجيهها نحوها، فليست لديها أصلاً أية ميول إليها.

أما صديقة عمري سيدة الأعمال الشامية، فأنا أذكر أن والدها، ومنذ نعومة أظافرها، أراد لها مثل هذا المسار. فهو كان يأخذها معه في سفراته إلى الصين والهند وأوروبا. وكنت أحسدها على أنها تعرّفت على كل هذه البلدان منذ صغرها. وكان أبوها يحفّزها على الاهتمام بتجارته. فهي الأخت الكبرى لأربعة صبيان. وأراد، لأسباب أجهلها وقليل مثيلها في مجتمعاتنا العربية، أن يحمّسها على ولوج عالم الأعمال وأن تتعرّف على أصول التجارة والاستثمار. وهكذا كان...

فهل التوجيه والتربية مهمّان إلى هذه الدرجة؟ أم أننا نحمل في تكويننا الداخلي البيولوجي جينات حسابية ومالية واستثمارية؟